الغض بذلك اللحن الطروب ، لحن الأمومة الخالد ، وعاشت فى حداثتها تترسل عليها تلك الأنغام العذبة الرائقة ، كأنها سواكب الطل فى الأسحار تلاثم نابت الزهر ، أو كأنها مطالع الأضواء تداعب عصفورا فى وكره لتنفض عنه خدر النعاس ، وتبعث فيه يقظة النهار الجديد .

وتوضحت خلجات الأمومة فى مواقف عدة من حياة الصبية ، طورا بعد طور ، وعهدا بعد عهد .

كان أهلوها يسارقون إليها النظر ، فيلفونها قد خلت إلى عرائسها فى ركن من أركان حجرتها الخاصة ، توليهن الرعاية والحدب ، كأنها أم رؤوم تتعهد أطفالها بما يوفر لهم الراحة والنعيم .

وما كاد ذوو القربى وغيرهم من الجيرة والصحب يتعالمون نبأ افتتان الطفلة بالدمى والعرائس ، حتى أفاضوا عليها شكولا وألوانا من هذه التماثيل ، فاجتمع للطفلة من عرائس القطن والجلد والمطاط وغيره حشد كبير .

وعلى الرغم من تكرار الهدايا فى نوعها الموحد وصنوفها المتشابهة ، كانت الصبية تتلقى الجديد منها بمشبوب من الشغف ، كأنما يهدى إليها أول مرة .

كانت العروس تهدى إلى الطفلة دمية صامتة ساكنة لا حس